الــــورق

الجزء الثاني من مذكرات وخواطر الورق

بداية الجزء الثاني لسنة ١٤٣٥ - ١٤٣٦هـ

فهد بن مشعان بن مرزوق الربابين



الجزء الثاني من مذكرات وخواطر الورق
بداية الجزء الثاني لسنة 1435 - 1436هـ

عودة القصة

ما زالت القصة في بداياتها، بل إنها بعد أن تحسنت رجعت إلى ما كانت عليه سابقًا؛ فالأمر الذي توقعت أني تخلصت منه بات قابعًا داخلي بشدة، ويأبى الخروج البتة، هو مستوطن هذا الجسد البريء الذي فقد قدرته على النشاط والمرح، فأضحى هزيلاً لا يرجى منه فائدة، أصبح شخصًا يختلف عن الذي كان عليه من قبل؛ فهو اليوم لا يحفل بما يتأثر به من مشاعر، وهو يعلم علم اليقين أن هذه المؤثرات بعضها نازح، وأخرى تمت بأسباب أغلبها خارجية، الألم الداخلي يستفزه بين كل حين، ولكنه يخفي ذلك بإظهار شعور مموه، يبث من خلاله المرح الزائف الأشبه بمن يستخرج مسحورًا من سحره، الشعور ما زال في حالة يرثى لها حقًّا؛ فهو بين الموت والحياة، والغالب قد يكون ما يسره إن شاء الله؛ فالحقيقة معلقة بين الإمساك والإقدام الذي باتٍ مؤشرًا بارزًا بوضوح جدًّا، فعسى أن تكون المراجعة خير مشار وعون لمعرفة الحق الذي اضمحَلَّ نوره.

....

نداء

عندما تتكلم عن الحقيقة تجد بعض مداخلها مغمورة، أشبه بقبو تحت الماء، فيه من الحقائق ما لم يعلم بها أحد، بينما يظن الجميع أنه مجرد قبو جال عليه الزمن، حتى كاد يكون لا شيء، هناك وجوه عديدة في بعض الأشخاص، منها ما يكون واضحًا، ومنها ما هو بَيْن الغموض العميق والإبانة الشاسعة، لكن هناك دائمًا عائق بين كل وجه.

فالحقيقة باتت شيئًا يسهل إخفاؤه، بل دثره، فحين تحين ساعتها فقد فات ما قد مات، هذا هو حال الحقيق الذي لا يتحرى عنه أحد، ويعتبره البعض بريئًا من التهمة الموجهة له.

فالأمر الذي نحن بصدده بميزان لا يندرج حكمه تحت العدل، بل هو قائم على ما يراه مناسبًا وصحيحًا، فأين الحق الشخصي والرعاية التي غادرت منذ فترة طويلة، والاهتمام الذي سجن من حين أصدرت المحكمة قرارًا تجاهه؟!

الآلام تخترق هذا الجسد الذي كافح من أجل النور الذي يسعى إليه لإنارة بصيرته المظلمة منذ فجر التاريخ.

بين أمرين

ما زال الماضي يجري كالشمس، والحال متقلبة بين حبور مشوب بحزن، وجوى مصحوب بألم يكاد يكون قاتلاً، نظر فيما يعتري القلب من خاطر وماطر، ألا إن الغالب طاغٍ حقًّا، هناك نور أشبه بنجم ذي بون عن الأرض بآلاف، حياة معلقة بين طيبتها ومعيشتها.

فالواقع يتحدث عن أوهام لا سند لحقيقتها؛ لذلك ظهرت الحقائق مجزأة لا متصلة بعضها ببعض، فكانت العالية منها قوية ذات دفع، والأخرى هزيلة مستكرهة غير بصيرة، تم الأمر فجأة دون إرهاصات بائنة.

فالكتاب المفتوح أُغلق قبل ختم النهاية، والكلمة الثابتة أضحت سائبة، بينما هو يسير في طرائق ليست ذات وجهة، غافل بينما غيره بصير، حالم بينما غيره عليم، واهمٌ بينما غيره عالم بيقين، سارح بينما غيره واعٍ بعقله النافذ.

فالحقيقة أن الثبات الواقع في داخله يخالطه شك ذو جانبين؛ الأول: عقله الغافل، والثاني: شهوة مترددة بين الإيقاع والإحجام عنها أبدًا.

الأثـر

تندثر بعض الأفكار لتحيا أفكار أخرى، كما الذاكرة تمامًا، فبين الأثر الواضح والتحول البائن موضعه في الواقع.

فالحقيقة رغم قوة بيانها فإنها بين جوانبَ عدة تستدعي منا النظر بمصداقية، فما زال الألم يوجع بشدة انتشاره مع بلوغه بذلك مناله.

فالفرق بين الاثنين هو البيئة، رغم وجود معوقات أخرى تدخل ضمن المراد بيانه، ما زلت أكتب أوجاعًا تمرست من جسدي بقوة، فاختلف اللون وصاحَب ذلك أمراض هي واضحة لمن يقرأ ما أكتبه.

فالكلمات الشديدة انتهى زمانها رغم بقاء أثرها، فإن ما تمر به يوشك أن يكون العقاب الأخير، فأصل ما تختاره هو الأفضل بعمومه وخصوصه؛ لأن الأدنى والذي دونه عواقب تعود عليك ما دمت حيًّا، فاعلم أن ما يختلج بداخلك إنما هي متنفسات يتنفس الجسد من خلالها بعد كتمها، فالوجه الأقرب لذلك هو الأزمة والمحنة، فما إن تقوى على ذلك إلا نلت الأحسن، فكن لنفسك عونًا قبل أن تكون النفس عونك، حينها يقع الخلل.

يقظة

ما زالت الأمور خبط عشواء؛ فهي تنتقل من صحة إلى سقم، ومن حزن إلى سرور يكاد يكون معدودًا.

فأنا عندما أنظر إلى الماضي أجد ما لم أجده أو أعثر عليه في الوقت الحاضر، فبين جولة الزمان والصراع الذي أطلق عليه الوهم الضائع.

فالحقيقة التي أجد فيها مرارة قوية لن أذكرها ولو قطعت أصابع يدي الاثنتين؛ لأن ما يختلج في داخلي أشد بكثير مما هو ظاهر الجسد، فحياتي قد تغيرت عندما طرأ ذلك الفعل الذي جعل النور ظلمات لكي أقع في فخ الشبهة والشهوات.

فأنا كنت جاهلاً بالكلية بما كنت أفعل من اقترافات، ولكن أنا حي، فما فات من أخطاء فقد ماتت متعتها وبقيت الأعراض المصاحبة.

فالحق أقول: إنني كنت إنسانًا غريب الأطوار، يطمر من جانب إلى آخر حتى آل بي المآل إلى ما هو في الشرع حرام، وفي العقل عارٌ لازب، تكاد تكون معرفتي قصيرة، ولكني بعد أن عرفت الدليل القاطع، والفعل الفاضح عهدت النفس أن أجدد تاريخها الممتلئ بثقوب كثيرة تكاد تكون شمسًا في رابعة النهار.

تفاوت

لا زلت أكتب تاريخ حياتي الحافل بكل ما هو عنيف، ولكن هناك وميض أمل يسطع من خلاله؛

فالحقيقة المخفية ظهرت فجأة بنظام غير مستقر تقريبًا، ولكنها عادلة بمعنى الكلمة.
فالصورة الواضحة أضحت شبه مضمحلة؛ وذلك بسبب ما مرت به من عواصف طبيعية.
فالقناعة تجاه الأمر ثابتة بوضوح، والرغبة فيما داخلها مترددة بين بعض ما في جعبتها.
فالماضي الذي رحل من زمن بعيد عاد لكي يجدد تاريخه الموجز، ولكنه ذو نهاية مؤلمة حقًّا.
فالواقع الذي يعيشه أشبه بنظام دولة دكتاتورية لا تعرف حقًّا ولا باطلًا، لكنها رغم قهرها فإن بها مَن هو مستعد للتضحية بحياته من أجل العدالة التي تحترم حقوق الأفراد.
فالساعة لا زالت تدق وتدق حتى يحين الأجل لتحل ساعة الرحيل إلى ما هو العدل المطلق الذي لا شائبة به، فمهما سادت الحرب الداخلية فإنه لا بد من استقرار يدوم، وتدوم معه رفعة الحياة وشرعها الثابت.

لذة ساعة

ذات يوم وأنا أكتب عما في هاجسي من اضطرابات متقلبة المزاج، شعرت حينها بنقص داخلي أعرف حقيقته، ولكن الكتمان قد أخذ عهدًا ألا يفصح عنه رغم وضوحه في عباراتي.
إن ما أدعو إليه هو الاستقلال الذي يشعرني بالحرية المطلقة، التي لا تربطها قيود عائلية ومجتمعية وقانونية، حرية أشعر من خلالها بالطيران نحو أفق بعيد عن بشر لا تقدرك حق قدرك، ولكن الابتعاد يتطلب احتياجات أولية تحل محل المبتعد عنهم، فما أرمز إليه الحرية المفتوحة، التي لا تغلق أبوابها أبدًا حتى النهاية، حينها سوف يكون شعوري مفعمًا بكل ما هو جميل ومُلذّ.
إن الغاية من العزلة هو انفرادي عن أشخاص فقدتُ منهم المصداقية والثقة، بينما نما بهم حب الذات والمصلحة الخاصة التي تدعوهم إلى فعل وأفعال قبيحة.
فالشعور بالراحة ينتج عن الوحدة الهادئة رغم شبح الوهم الذي بالكاد أستطيع السيطرة عليه لولا وميض إيماني حي بداخلي.

هناك يوم جديد

عندما أفكر في كيفية رواية قصتي أجد أنني من الأفضل أن أسردها بطريقة عشوائية؛ لِما فيها من التنوع والابتكار، فإنك سوف تجد بين هذه الطرق تفاصيل مثيرة ومؤثرة في كل سطر متكلم.
فالواقع يتحدث بطريقة إعلامية ذات لغز مخفًى رغم الشفافية في سرد الموضوع، إلا أن القنبلة الموقوتة تكمن فيما وراء ذلك، رغم وضوح مبدأ الحياة فإنها لا زالت غامضة بما تحتويه من أسرار بحد ذاتها غير مفهومة الكيف.
إن ما يميز الإنسان عن الحيوان هو العقل؛ لذا فقد يكون هو السبب الرئيس في هذه الاضطرابات المفاجئة، لم يعد العالم مكانًا آمنًا رغم الجهود المبذولة في الحماية، إنما أضحى صراعًا بين ذئاب مفترسة بشراسة جدًّا، تأكل كلَّ ضعيف لا حول له ولا قوة.
ورغم ذلك كله فإنه هناك يوم جديد وبشر جديدة تولد في بقع من هذه الأرض، رغم اختلاف كل بقعة، إن القصة الحقيقية هي الحقيقة تجاه البشرية جمعاء.

السؤال

لا زالت أحداثي الماضية تؤثر علي سلبًا، مع أنني قد استعنت بمن ينظر في هذه الحالة، ويخبرني بما في داخلي من مشاعرَ وأحاسيس مضطربة.
إن الواقعية في مفهوم الماضي كادت أن تقتل الحاضر الذي عانى معاناة شديدة في كيفية التكيف مع الواقع، فبين الفصلين عداوة حقيقية ثمارها هذه النفس والجسد الذي بات كتلة تحتاج إلى توازن ذاتي ثابت، بينما العقل خرج عن السيطرة رغم المحاولة في إرجاعه إلى مفهوم الصحة، إنني أعيش واقعًا متذبذبًا، بين نار تلفح سمومها، وبرد يقرص أشد بمرات منه عند دخوله.
فالسؤال الذي يطرحه البعض: لماذا لم تلجأ إلى طبيب؟ إن الإجابة على هذا السؤال تكمن في السؤال نفسه الذي تدور إجابته حول الترددية في الإقبال والرفض رغم الاعتراف بالعلة، ولكن ما يدفع الإنسان إلى التميز غاب في المجتمع الذي كنت فيه، وإنما تجد العكس هو الصحيح فيما لو حاولوا المساعدة.
إن جسمي أعلن حربًا منذ زمن، ولم يسمع أحد منذ ذلك الحين الإنذار.

صيغة الغائب

من قال: إن لهذه القصة نهاية؟! إنما هي البداية بكل ما فيها من علامات وإخبارات.
فالأمل ينبعث منها كلما قرأتها أو تحدثت عنها أو حررتها من القيود، وأبعدت عنها الغموض الذي صاحبه رمز أساسي رغم الرموز، فإن البعض سوف يقول: أجد أن ما كتبه يخلو من الأصدقاء، فأين هو منهم؟ والعكس، الحقيقة هنا تتحدث عن أصل هذا السؤال المطلق، الذي حوى تساؤلات كثيرة تدور حول محور واحد، هو أنا.
إن صيغة الغائب للصديق مجدية جدًّا معي؛ لأنه لا يوجد صديق في الواقع، إنما يوجد معرفة سطحية لا تقل عن الحديث فقط، ولا تخرج عن حدود ذلك.
إن ما أحاول البحث عنه هو الأمر الذي قد لا أجده في هذا العالم رغم وجود عيِّنة مثلي تبحث عنه، والعكس كذلك، لكن التحفظات المفرطة التي سننتها هي التي أبعدت الجميع، أم أنا بطريقتي قمت بذلك دون أن أشعر! لمن الأحقية؟ قد أكون أنا بحقيقتي المتجاوزة حدها البالغ الأثر فعلت ذلك ثم رجعت ألوم غيري دون أن أشعر.

الكارثة

إن التحدث عما في الخاطر من هموم وأحزان يتعب القلب المرهف والجسد البريء من حوادث الأعيان؛ فالألم الساكن رغم تحركه المفجع يساعد أحيانًا على الانطواء القاسي، الذي تصاحبه تطرفات شيطانية عنيفة بالنسبة للجسد، وذلك من خلال الصحة، بينما هي مريحة لما فيها من متعة اندفاعية قوية جدًّا، كشيء أنت تجد الحيوية المطلقة في فعله، وتجنبه يورث الملل المصحوب بعوارض أخرى.
إن ما يطلبه الجسد هو التحرر من قيود الدِّين لولا العُرف الذي لا يسمح بذلك، فقد كونت لي عالمًا شخصيًّا يخصني أنا فقط، ولا أسمح لأحد أن يطلع عليه، أو أن يعرف عنه شيئًا، إنما هي معلومات

خاصة جدًّا؛ لذلك قد تفهم توجهي، ولكن لن تعرف أفعالي الخاصة السرية، هكذا كانت فكرتي نحو ما أفعل، فقد واجهت ردات الفعل القاسية التي عادت عليَّ بما يحمد عقباه، ولكني تماديت وأعلنت نفسي لأن أكون حرًّا رغم المخاطرة.

تحت الميل

لا زال الحال متدهورًا بشكل شديد جدًّا، وذلك فيما دعت الضرورة من احتياجات جعلتها تتجرف نحو المهالك؛ فالتجربة التي مررت بها قد سببت لي بعض الأضرار المفاجئة، التي بقي منها سبب لأسباب أخرى، مما دعت هذه النفس إلى الميل إلى مباحات ذات غير العادة، فمنها طغى هو وطغت النفس فيما تفعله من أمور بحد ذاتها إضرار.

فالحل الذي بحث عنه سار في طريقه، ومن ثم تراجع عنه رغم الحاجة إليه؛ لذا فإن القصة توشك أن تختتم بنهاية محزنة جدًّا.

إن الواقع الذي سادت فيه الحرية المقيدة، التي تجر إلى نهاية المطاف عند التشهير بالفعل وبثقة دون خوف؛ لذا فالواقع مركب في كونه يدعو إلى العنف الذي يعجز أن يصفه مشغول القلب وهو يرى غشاء قلبه يقتل أمامه، ثم هو من بعده، قد تكون تلك قصة مؤثرة لدى البعض، إلا أنها عار لدى البعض الآخر.

فالسبيل إلى تصحيح ذلك هو الحث على عدم إعادة مثل هذه الأمور بدل التعريف ومعرفة حقيقة الفاعلين.

شعور غريب

عندما أتذكر الماضي الجميل يعتريني شعور غريب جدًّا، بل إنه يملأ هذا القلب بما هو روح المتعة، ولكن يصحب هذا الشعور دافع ناتج عن رغبة متناقضة تجاه النفس.

فالتفكير فيما وراء هذه الرغبة مربك جدًّا، لدرجة أن الأفكار امتزجت بلون واحد دون أن تتغير جذورها الأولى.

فالحقيقة تكبر عندما تختفي أصولها في الواقع، بينما يخفى أثرها رغم الإنارة الناتجة منها.

فالمستقبل الذي أطمح إليه بات ذا شوائب كثيرة، فأمس كانت الحياة أجمل، واليوم أسوأ بكثير جدًّا، إن ما أمر به هي حالة تستدعي النظر، ولكن أين الحكيم الذي سوف يشرف عليها؟

إن غياب الفهم عن المجتمع بسبب ـ لكثير من الأسباب التي تردع الشخص عن العلاج، إن المجتمع الذي يفقد حس الفهم يعاني حقيقة من اضطرابات مختلفة الأشكال رغم علمه بوجود هذه الخلل، فإنه لا يسعى إلى مبدأ المعالجة، إذًا فالأسرة أول مشكلة يواجهها المعاني، فيخرج ليجد مجتمعًا غبيًّا تسود فيه القبلية بشراسة.

كل يوم

بينما تغيب النزاهة الحقيقية والعدالة التي باتت مسمى يقوم على الغير، إن الواقع يتحدث عن وضع أليم لأمة عانت ويلات من قهر يفرض نفسه باسم الحكم السائد، وهذا هو الذي زرع شجرة الجهل،

التي منها تفرعت الجهالة في المجتمع المستبد، إن ما يدور بداخلي من مشاعر لهي حرب مبيدة؛ فقد أعدمت الإحساس بالواقع، بينما استفاق الوهم بعد نوم عميق دام لسنوات طويلة.
ما أريد قوله هو الحقيقة التي جعلت من هذا الصدر تنُّورًا يوقد كل ليلة جراء إعادة الذاكرة لما حصل في الماضي، تلك هي القصة الحقيقية التي غابت تفاصيلها عن سطور كتاباتي، بينما أرى ذاك الشريط يعرض علي كل يوم وليلة، وذلك عند النوم.
من هناك حدث خلل في المشاعر والرجولة التي هي شبه زائلة، بينما عادت منذ وقت إلى محرابها، إلا أنها لا زالت في دندنتها القديمة، إن الشعور بالألم سنوات عديدة يكرس الإحباط وموت الثقة بالنفس مع الأيام؛ لذلك بادِرْ بنفسك إن استطعت.

الاختيار

بيني وبين التاريخ علاقة، هو يتحدث عن أشخاص كثر، بينما أنا أتحدث عن نفسي بكل بساطة، إن الصورة التي أراها عن نفسي في المستقبل هزيلة جدًّا، شاب بعمر الزهور، إلا أن ما توحي إليه الصورة رجل مسن قارب الثمانين، تلك نظرة واقعية لما سوف يكون عليه في الأيام القادمة، كوني حزينًا من واقع أشتكي منه الليل والنهار، إلا أنني (بين غمضة عين وانتباهتها) سعيد رغم ما حولي من مسببات.
إن المنزل يمثل لي الأمان الذي لا أجده خارجًا، ولكنني أفتقد العطف والحب والحنان الذي لم أشعر بهم يومًا ما، إنني شخص بارد حقًّا، وذلك تجاه المشاعر والعاطفة التي باتت تغرق فيما لذ وطاب، إن ما أنا عليه الآن جسر يقود إلى واقعين حقيقي وخيالي، ولكنني اخترت الثاني على الأول؛ ولذلك أصبحت خجولًا غير مكترث بمن حولي.
لا أصدقاء ولا زملاء، فقط أنا والوهم والخيال الذي حملني عن كوكب الأرض إلى كوكب يختلف كثيرًا عنه بكل ما فيه من أزواج.

ما في البال

لم أكن أعلم أن تعلُّم عادة سيئة يؤدي إلى الإدمان الذي بات أشبه بمادة تعزز الجسد، بينما كان الأمر مجرد فكرة خطرت في البال، لكنها بعد أيام تحولت إلى تجربة مستمرة يومًا بعد يوم، حتى إنها أهلكت الجسم، وجعلت بعض العلل الدائمة التي لا تتوقف إلا إذا عزل عن العادة السابقة بشكل نهائي.
إن الشعور بالوحدة مقدّم لهذه العادة وقت كثير، رغم حب انشغالي بالكتابة والقراءة فإنه لا يدعم ذلك الفراغ بكل قوة، بل هو ضعيف جدًّا، فإنني أتذكر عندما بدأت أتناول دواء (بروزاك)، ذهبت بعض تلك السلبيات، ولم تؤثر كما كانت من قبل، بل إنها تلاشت بشكل لا نقول عنه تامًّا جدًّا، بل هو أدنى من ذلك بقليل، ولكنه أحدث فرقًا كبيرًا، لدرجة أنه جعل منها أرشيفًا مغلقًا مؤقتًا، ولكن ما أن توقفت حتى رجع الموج يلطم السفينة حتى الغرق، فلم يحكم قيادتها وتوجيهها، بل إنه خاف واضطرب، مما جعل النجاة مستحيلة.

أنا منهم

لا زلت الفتى الصامت، الذي يتجنب الحديث فيما ليس فيه فائدة.

إن الاعتراف بالخجل ليس عيبًا، ولكنه سوف يعرقل جسر الحياة الذي أسير عليه إلى المستقبل، فمن المستحيل أن يصنع الخجل إنجازًا، ولكن الأمر معقد جدًّا.

فالواقع لا يساعد على التكيف، بل إنه يقود إلى سجن أشبه بـ: (سمكة الحوض).

لا أعلم أين أنا بالضبط من الواقعية؟ ولكن كل ما أعرفه هو أنني معلق بين ما داخلي ومستقبلي الذي أراه أمام عيني يضمحل بسببي.

إن الحقيقة لو نطقت لقالت الحق في التغلب على الخجل، بينما لو نطقت أنا لقلت: إنني أبادر، ولكن لست قادرًا على التخلُّص منه وحدي، كل ما أحتاجه هو التشجيع الذي يدفعني إلى الأمام بقوة البارود.

فالأحلام غير الممكنة قد تكون ذات يوم ممكنة؛ فالواقع الذي أعيشه يختلف كثيرًا عن الوقوع الأخرى في هذا العالم، أنا أريد الارتحال؛ لأنني أرى فيه طفرة سوف تحقق إنجازًا مبهرًا في القادم.

الداء

إن الفاصل الذي يفصل الأمس واليوم هو مجرد لحظة أو وميض تمت رؤيته؛ فالأمل المحبوس أوشك على الخروج من سجن الامتحان الذي بات فيه فترة غير قليلة، وإنما جاء طلب خروجه بعد تقديم إفادة تجاه عدم مساسه النفس بجميع دعاويها.

إن القصة الحقيقية تكمن في معرفة البداية الأساسية، التي ظهرت منها النواميس الأخرى.

فالحكاية ذات مغزى يشرح صورةً عمرها قديم مر عبر مراحل ذات انتقالية، ولكنها وبشكل من الأشكال سياسة ذات طابع حاد لا يسمح بأي تجاوز أيًّا كان، حتى هذا اليوم تشرق شمسه بفرح وحبور، فإن النفس لا زالت تشتكي من دائها العضال الذي خرج عن السيطرة بقوة.

إن حالته أشبه بدولة ضعيفة عسكريًّا، جاءها العدو بغتة فأبادها عن بكرة أبيها دون حتى أن تدافع أو تدفع عن نفسها هذه الداهية.

فالجنون الذي أصابه لم يكن يخطئه أبدًا، وإنما هو المراد بذاته؛ لأن ما فعله بنفسه وبمشاعره ساعد على ضعف الكيان النفسي عنده.

ألم وصوت

من الجميل أن تختصر الذكرى في شريط موجز؛ لأن منها ما هو مؤلم حقًّا، ولا ترغب في تذكره على الإطلاق، ولكن هل تنسى تلك الحادثة؟ لا أعتقد أن ما يؤلم ينسى؛ لأنه كنبض القلب دائم الحركة.

فالحقيقة بين خطين من خطوط الواقع، كما أن الواقع في منتصف البداية التي تمثل النهاية الأكيدة، إن ما تمر به من وخز الضمير هو في واقعه تعذيب حسي قابل إلى الإزالة إذا أمكن المساعدة،

ولكنه بعيد جدًّا عن الطلب، والتي تفقد بدورها الاستطاعة فيما هو ممكن.
فالحالة على ما كانت عليه منذ قدم، ولكنها تحسنت قليلاً بعد مرحلة العلاج المبدئي غير الكامل؛ فهو لا زال في حيرة مما فيه تجاه تلك الحادثة، إن الأمور المؤلمة حقًّا سهمٌ لا تقدر على إخراجه من جسدك المنكسر والساقط على الأرض، والمشتكي مما يخالجه من أفكار وأفعال حسية قديمة عاودت الدق، فهي أشبه بجرس يدق بين فترة وأخرى، إلا أن المشكلة في الألم والصوت الناتج عن دقه باستمرار دون توقف.

رغبة

تأملت الحياة فوجدتها عديمة لا تستحق البقاء، وذلك عندما تفتحت البصيرة وزالت الغشاوة عن الأبصار، فرأيت الحق أمامي بوضوح جدًّا، ولكن حينها قد فات الأوان، فقد وقعت في شباك الشقاء والعدمية ذات نصيب الحظوظ، كل شيء زال من أمام عيني فلم يبقَ سوى أنا فقط.
فالأصدقاء تلاشوا بسرعة كما السحب، ما إن تأتي الرياح حتى تحملها بعيدًا فتظل السماء صافية ساعات طويلة، إن الأفكار كثيرة، ولكن المعاني الموصلة إليها قليلة؛ لذلك أجد نفسي أعاني قلة في التصوير الصحيح في المقابلة والمعنى؛ لذلك خرجت هذه التعابير من جوف هذا الجسد الذي عجز وهو يتكلم عما في داخله من آلام هي في الحقيقة كلمات ومشاعر جارحة، إن المعنى الحرفي الذي أحاول توجيهه هو المشاركة واللمة بين الأصدقاء والأقارب بود لا يخالطه شائبة، ذلك هو الاستقرار شبه الدائم.

الغصة

بين الماضي والحب كلمات لا زالت مسموعة الصوت بقوة الصدى المتردد، كذلك بين القلب وهمسه الذي لم يعد مستقرًّا على قول واحد، إنما حار في فكره وجال كما يجول الزمان، بينما غرقت الحقيقة في وحل المصداقية الذي بات يزحف كما الحمم البركانية نحو مركز الهدف.
إن الرسالة المحكية لي هي السهولة التي تشبه شربة الماء، ولكن الواقع كان عكس ذلك بكثير جدًّا، وإنما كانت الغصة بالماء أصلاً، كيف؟!
لا زلت لا أعلم الحقيقة أين تقطن، بينما أراها تتجول هنا وهناك بين فترة وفترات.
فالدرس الذي تعلمته من الواقع هو الثبات المرتبط بالمبادرة الحية المصحوبة بالثقة والقوة الماسكة بزمام الجرأة والمجازفة نحو الأهداف الفعلية في واقع الحياة.
فالكلمات رغم خروجها من جوف الجسد فإن الصورة المعبرة عن المثالية لم تكن هي الصورة المطلوبة، وإنما وقع خطأ بسيط في المفهوم الحقيقي للإقدام نحو الحياه، وذلك هو مربط الفرس الذي لم يعد في مكانه بعد.

مجرد تفكير

لا أعلم إن كان الأمر مختلفًا عن السابق، ولكن ما أعرفه هو أن الشعور حي متحرك وسط هذا الجسد المتألم بشدة، فما أصابني في الماضي لا زال يعاود إليَّ كل ليلة، وذلك عند النوم وقبله، حتى مجرد التفكير في أمر ما تتداخل الأفكار ضمن سلسلة من الانحرافات السلبية وغير المستقرة على برٍّ.

فالشعور المفرط بالتعاسة هو الإحساس الذي مات هربًا من المسؤولية، فحتى من حولي لاحظوا ذلك بعين محتقرة ومعيبة، فبدل التخفيف لجؤوا إلى الإعادة والتجفيف؛ ولهذا السبب ماتت حياة هذا القلب المنفطر والمنكسر رغم ضآلة الإيمان الذي أوشك أن ينتزع منه بإرادته.

فالحقيقة تقول: إن الحق الذي قد صرحت به يحتاج إلى دلائل أولية يقوم عليها العلاج الفعال، ولكن النفس تكابر بشراسة شديدة حتى في مواجهة ما في داخلها من أشباح قهرية.

فالحالة على ما كانت عليه قبل سنوات، رغم التحسن، إلا أنها طغت قليلاً.

الإهمال

الكلمات المفيدة لم تعد تملأ دفتري من جديد، بل ما فيه من إفاضة إنما هي تعابير نال منها الصدر ما شق عليه حتى صرخ قائلاً: اخرجي.

فالتعبير الحقيقي هو ما يدور حول إنسان تائهٍ في زمن مليء بالبشر ومخلوقات أخرى، ومع ذلك سكن الحزن أعالي نفسه حتى استولى على الحكم، فكان الآمر والناهي، فهو عبد عنده رغم أن المملوك جسده، ولكن لا سمع ولا بصر، فحق عليه إذًا الصبر، لن يفهم معنى السعادة وهو يبتعد عنها يومًا بعد يوم.

فالأيام الجميلة باتت ضمن كتاب لحظات من الماضي، فلا هو وسط يسير نحو هدفه وحلمه الذي ضاع في غابة الصمت والإهمال المفرط والشديد.

فالحق يقال رغم توجسه منه ومن الإبانة المطلقة، فالكلمات العشر التي ذكرت في الرسالة ضاعت في مهب الريح، فبات فهد في متاهة منذ ذلك اليوم لم يخرج منها، فهل يا ترى يستيقظ من نومه العميق ليرى مدى إهماله لنفسه ويومه؟!

العودة

بين الجملة المفيدة ونظيرتها وجه تشابه قريب رغم الاختلاف الذي صاحب العبارة والمعنى.

فالحقيقة الناطقة بالحق لا زالت تدلي بالشهادة له وتغفر له كل زلة قد اقترفها في ماضيه وبادي حاضره.

فالمعنى الواضح قد اقترح عليه الغموض المبهم، ولكن وبدون شك رفض ذلك على الفور دون تفكير، وإنما ما زاد ذلك سوءًا هو الإخفاء ذو الطابع الرديء.

فالصورة رغم وضوحها فإن القصة لا زالت في أول مجرياتها دون قصد سبيل نهايتها، إن ما أرمز إليه من إشارة يوحي إلي أنني أقف على هاوية لا سبيل لنجاة منها دون المساعدة الحقيقية.

فالقصة ذات المحور الأساسي باتت تتشكل بألوان كثيرة وغريبة، وذلك يحدث بتخبط، لم أفهم بعد ما أرمي إليه من بيان، ولكن أعرف أن الواقع الذي أعيشه فيه يرى جيدًا حالتي المزرية جدًّا.

فالصورة التي تم التقاطها مضمحلة جدًّا، وغير بارزة بشكل صحيح؛ لذلك عاد إلى ما كان عليه سابقًا منذ فترة من انطواء بعيد عن الواقعية، قريب من الوهم جدًّا.

الخطأ

لا زلت أتكلم بالصراحة، ولكنها رغم الإبانة توشحت بما أخفى حقيقتها الواقعية، وذلك في مجتمع لا يرحم أبدًا.

فالرسالة التي انطلقت من هذه الخواطر لم تصل إلى أحلام بعض الناس، وإنما كانت للبعض الصورة التي لم يرَها في الواقع المطلق؛ لذلك سوف أقول: إن الكلمات التي خرجت من جوف هذا الجسد ذات مصداقية تجاه ما تصرح به من معنى واضح وثابت.

فالأفكار رغم تلاشي جزء منها فإن بعضها يسبح في فضاء الفكر الواسع، مما يجعل الفكرة تراوده مرة أخرى، إن ما أتكلم عنه مستقر في أعماق قلبي المرهف بإحساسه، والحزين بما اجترح هو بيده؛ فالخطأ المذكور في أرشيف الماضي يدور ذكره بين لحظة وطرفة عين، مع بيان أن السبب لم يكن الاقتناع، وإنما كان الخداع، رغم الدرس المأخوذ فإنه عاد فكرر نفس هذا الخطأ الذي لا أقول عنه: إنه مزمن، ولكنه ترك آثار عليه سيئة جدًّا، مما جعله يعيش بين عالمين؛ الواقع البعيد عنه، والخيال القريب منه.